مثال العفاف في رواية جنفياف

نظمها الاديب ميخائيل افندي عبدالله الراعي

مقدمة

يروي الرُّواة ان جنفياف احدى اميرات الفرنج في القرن الثامن للميلاد كانت ابنة الدوق دي برابان اقترن بها بالزفاف سيغريد(Sieg fried) او سيجفرُوا امير مملكة تراف وما لبث ان دعاهُ الملك شرل مرتل سنة ٧٧١ لمحاربة عرب اسبانية الذين كانوا اغاروا على فرنسة . فلبَّى سيجفروا دعوتهُ وجعل قبل سفرهِ زوجتهُ جنفياف تحت نظارة وكيلهِ المدعو غولو (Golo) . فهذا غلط نعمة سيدهِ وراود الامير عن نفسها فردَّت طلبهُ الاثيم بأنفة .. فاراد غولو ان ينتقم منها . ولمَّا عاد الامير من حربهِ ظافرًا اسرع اليهِ ورماها بالخنى . وكانت الاميرة ولدت ابنًا فصدَّق سيجفروا تهمة غولو وامر بقتلها وقتل ولدها مما الَّا انَّ الذين عُهد اليهم هذا الامر اغتنموا الشفقة عليها وتركوها في القفر فأوت الى مغارة في غابة كثيفة واوضعت ابنها بحليب ظبية لقيتها هناك وافتاتت هي من الاعشاب والثمار سبع سنين . الى ان خرج الامير الى الصيد في تلك الغابة ورأى الظبية فتأثرها فهربت الى المغارة حيث كانت جنفياف . فعرف الامير زوجتهُ واطَّلع على حقيقة امرها واعادها وابنها الى قصرهِ مكرَّمة معزَّزة . وامر بقتل الخائن غولو . لكنَّ الاميرة لما قاستهُ في تلك المدَّة الطويلة توفيت بعد قليل ودُفنت بروتق عظيم . فهذه خلاصة رواية جنفياف التي شاعت في كلّ انحاء اوربَّة . وممَّن اخرجوها على صورة شائقة لطيفة الكاتب النساري كويتوف شيد وقد عُرِّبت هذه الرواية في بلادنا فاحببتُ ان أفرغها في قالب النظم مع اعترافي بقصر الباع ملتمسًا من رؤساء القريض المعذرة عن هفوات اللسان والله الهادي وعليهِ التكلان

٢٠ د

نارُ الكريهة حين شبَّ لظاها ... ظفرت جيوشُ فرنسة بعداها
وبغابر الازمان كم غالت جيو ... ش الغالِ في الهيجاء مَنْ ناواها
حربٌ فروسٌ طالما دارت على ال ... أعراب في غرب البلاد رحاها
ما بين غاليةٍ واندلسٍ لكمْ ... شبَّت قرنٌ بذي الجهات صداها
قد سالت البطحاء من سفك الدما ... والارضُ غصَّت من جرا قتلاها
والنصر كان حليف جيش أوربَّةٍ ... اذ فرَّتَ الاعرابُ من اتحاها

***

سيجفروا الكرَّارُ كان غضنفرًا ... ببسالةٍ نارُ الكفاح يطاها

قاد الجيوش بنخوةٍ وحميّةٍ نحو الكريهةِ باسماً يلقاها
تتخذ الاميرةَ جنفيافَ حليلةً في عام حربٍ طالما أصلاها
حسناء تحكي البدرَ في كبد السما واللطفُ والاحسانُ من مبداها
فعلُ الفضيلة والتقى من دأبها وكذا العفافُ شعارُها ورداها
كانت « كطابيثا » غزالةَ عصرها تكسو المُراةَ وقلَّ مَنْ جاراها(١)

***

« غولو » الخبيث الوغدُ هام بحبها وغدا السليمُ متيماً بهواها
قد رام يَغويها فخاب ولم ينل يا قوم ألا سُخطها وقلاها
فشكتهُ حالاً للامير وخصمُها قتلَ الرسولَ وبعد ذا عاداها
وعلى الاميرة صاحبُ القدر اشتكى للبَعْل ايضاً مُهملاً شكواها
قد قال خانت جينيفيافُ حليلها وتعلقت بسوى عشيرٍ صباها

***

« يسيجفرُوا » الغرورُ قطّب وجههُ حين الرسالةَ فضّها وقراها
ويحبس زوجته الامينة قد قضى فوراً بدون الفحص عن دعواها
حبلى بآخر شهرها في الحبس زُجّ بها وفرط الطلق قد ناجاها
ذكراً كبدر التمّ قد ولدت بضنك العيش والربُّ العظيم وقاها
« دُولُور » سمّتهُ لما من لوعة الـ ألم المبرّح والشقاء عراها
وطعامها في السجن خبزٌ اسودٌ فتبلُّهُ بمدامع عيناها

***

حكم القضاءُ بقتلها في ليلةٍ صرفُ المنيّة فجأةً وافاها
« برتا » اتت سراً لتنذرها بما شرّاً لها قد اضرمت اعداها
كتبت الى البعل الحقود رسالةً من غدر « غولو » كيف كان جزاها
ولقد حَبَت برتا لشدّة حبها عقداً ثميناً شاهداً لولاها
قالت لها : ذا الجيدُ اصبح عرضةً للذبح . والدهر الخؤون جفاها

١) يشير الى طابيثا الصالحة التي احياها القديس بطرس كما ورد في سفر الاعمال. (ف ٩)

واستاقها كالشاة جلّادان نحـــر الغاب وا أسفي لفتك دماها
فتشاورا في ضرب عنق وحيدها وتأججت نار الاسى بحشاها
وقعت على اقدام كلّ منهما تهمي الدموع كوابل عيناها
قالت «اذا في ضرب عنقي قليلا شرّ اولا «ولظى الفراق كواها
كلٌّ عفا عن قتلها رفقاً بها والله من غدر البُغاة حماها

***

ودرى وايقن خصمها «غولو» بأنّ م رسولَهُ كاس الحمام سقاها
وتوغلت تلك الاميرة في القفا ر وظلّ كهفٍ قد غدا مأواها
تقتات من بعض البقول وطالما خارت من الجوع الشديد قواها
تحنو على طفل ضعيفٍ جائعٍ باكٍ فضعّف وجدّها وأساها
بمغارةٍ في الغاب كان مقامها عينُ المهيمن ضمّنها ترعاها
وبقربها روضٌ نضيرٌ فيه سا قيةٌ تروّي في الهجير ظماها
تخذت لها طاساً من القرع الذي قد عاينته نابتاً بجناها
دخلت الى تلك المغارة ظبيةٌ أنِسَتْ بها واستبشرت بلقاها
وطعامها اتخذته من البانها فقهت وكان الجوع قد اضناها
واتى الشتاء ببرده وصقيعه والثلجُ ارضَ الغاب قد غطّاها
امّا غزالة جنفياف بقربها كانت تبيت وحبّذا ملقاها
تقتات من بعض الحشائش عندها اذ قلّ في ارض الفلا مرعاها
ثم انقضى فصل الشتاء براحةٍ نالت بها تلك الفتاة مُناها

***

جاء الربيع ورنّمت اطياره في الروض يشجي المستهامَ غناها
حيث الطبيعة حلّةً خضرا اكتست سبحانَ ربِّ الكون مَن أنشاها
وتوافحُ الازهار طاب عبيرُها وتسربلت اشجارها بردا
وتراقصت اغصانها طرباً على شدو الحمائم في حمى جرعاها
فغدت فتاة الغاب تحمد ربّها الحسنان من طيب الحياة جباها

بَرَزت من الغار الذي زمنَ الشتا قد طال فيه أسرُها وخباها
والله كان نصيرها وملاذَ من القت على الرب الكريم رجاها
واصطاد ذئبٌ نعجةً بجوارها فاستنقذتها بعدما أرداها
واستحضرت صوَّانةً سلخت بها فروًا من البرد الشديد وقاها
واتخذت دولورَ من جلد الظبا ثوباً جميلًا والسرورُ اتاها
كانت تُجتمع في المصيف طعامَها بعضَ الثمار مؤونةً لشتاها
سكنت بذاك الناب سبع سنين اذ نالت بدولورَ الحبيب مناها
واقد نشا وتورَّدت وَجناتهُ ذا طلعةٍ قرَّت بها عيناها
ربَّتهُ بالتقوى فكان مهذَّباً ولداً مطيعاً ليس من يعصاها
كالشبل في الغابات ربَّ بالقِ يحمي بهاتيك الجهات حماها

***

فعدت بذاك العام وهي مريضةٌ والقرُّ في فصل الشتا اضناها
والثلج غطّى الارض ابيضَ والذرى بُسُطُ الطُّلس قد ملأَ الجهات عراها
باتت تئنُّ وارشكت تقضي من السحمّى الشديدة بعد فرط ظماها
« دولورُ » كان يعولها بالماء مع لبن النزالة حيث دام حذاها
قالت من الاوجاع لمَّا استوقدَت نارُ البعاد واضرمت احشاها:
« دولورُ يا ولدي الحبيب ومهجتي دنت المنيَّة جاء يوم لقاها
سأموت من فرط الكآبة والضنى هيهات أنك ان تعودَ تراها
ولئن قضت هذي الحزينة بعدها في الغاب غيرك لا يقيم عزاها.
فاحرص على دفني ولا تحزن فانَّ النفس في دار البقا مثواها
أخبر اباك اذا ظفرتَ بقربهِ كيف الفقيدة في البعاد عراها»
دولور أجهش بالبكاء تأسُّفاً ودعا المهيمنَ كي تنالَ شفاها
نَقهت وقد ولّى الشتاء وبردهُ عنها وزالت برمةً حمَّاها

***

« سيجفروا » بالغرب عاد مظفَّرًا وجيوشهُ انتصرت على اعداها
وبقصر « نفرابورَ » كان دخولهُ في حفلةٍ لله فيها ابهاها

لكنهُ غيظاً تنمَّر صدرهُ لجريمةٍ « غولو » الخبيثُ جناها
ولقد تحقَّق غدرهُ وعتوَّهُ برسالةٍ من جنفياف قراها
والوغدُ حالاً قد اقرَّ بذنبهِ مذ طاوع النفسَ اللجوج هواها
مولاهُ حتماً رام يضرب عنقهُ لمقاصدٍ بغيابهِ اخفاها
لكن وصيَّة جنفياف اطاعها عفواً عن الوغد الذي عاداها
القاه في سجنٍ مخيفٍ مظلمٍ والنفس نالت بالعقاب جزاها
واقام جنَّازاً بهيجاً خافلاً عن نفس من فاقت بفرط تقاها
قد طالما سكب الدموع لفقدها متأسفاً وملازماً ذكراها
ملَّ التعازي في الاسى من بعدها طرَّاً وبالدمع السخين بكاها

***

خرج الامير « سيجفروا » للصيد في ارض تكاثر في الفياض ظباها
قصد التنزُّه في الفلاة مسرَّةً كي تستريح النفس من بلواها
فغدا يطارد ظبيةً دخلت الى غارٍ به قد شاقها مأواها
دخل الامير اليهِ ثم ارتاع من مرأى فتاةٍ كالخيال براها
نادتهُ قِفْ يا ذا الفتى مهلاً ولا تجزعْ فدونك مَن تروم لقاها
فانا خليلتك الامينة جنفيا ف إذاً فخذ من قصَّتي فحواها
فاجابها يا ذا الخيال ألا ابتعد عني فان النفس طال شقاها
أخرجْ وكلمني لأعلم من ارى فخليلتي رحمَ الالهُ ثراها
خرجت اليهِ عاجلاً بتبسُّمٍ ايضاً وقد لمَست يديهِ يداها
فارتدَّ عنها جازعاً متحيِّرا عند اللقاء وهالهُ مرآها
حتى أرتهُ خاتم الاكليل عا د لنفسهِ وبلهفةٍ حيَّاها
وبكى بكاء المستهام باوعةٍ متعجباً من حيث طال بقاها
في غابةٍ مأوى الوحوش تظلُّها طول المدى وتجول في انحاها
قالت لهُ عين العناية طالما جنح الدجى كانت بها ترعاها
« دولور » اقبل ساخطاً لما رأى رجلاً عظيماً في الفلاة جناها
قد صاح يا أمَاه من هذا فقا لت لا تخف وتبسَّمت شفتاها

هذا ابوك «سيجفروا» البطل الذي فاق الاكابر والجبابر جاهـا
والوالد المشتاق ضمّ لصدره ذاك الغلام به وعيجاً ناهـا
أمّا الاميرة بالامير ترحّبت دخلتْ به ايضاً الى مأواهـا
وتحدّثا من بعد ذاك هنيهةً عمّا بذي الآجام كان عراهـا

***

سيجفروا بالبوق نادى صحبهُ في غابةٍ وافوهُ من اقصاهـا
وتألّبوا بالقرب منه دهشةً ممن رأوا واستخبروهُ شفاهـا
فاجابهم : « ذي جنفياف حليلتي والله جودًا قد اطال بقاهـا
وعلى ذراعي النجلُ «دولور» الذي في السجن رب العرش قد اعطاهـا
هيّا اضرموا نارًا وهاتوا كسوةً بعد الطعام لكي تنال غذاها »
واعدّ ذاك « الكنت » مما يقتضى في خيمةٍ لقرينه وكـاهـا
جلستْ على خير الطنافس والنما رق والسرورُ بقربهِ وافاهـا
ولها اعدّوا للترحّل هودجاً والجمعُ سارَ امامها ووراهـا
اهل البلاد الى لقاها بادروا بمسرّةٍ كلٌّ وقد حيّاهـا
حتى اذا دخلوا المدينة وانبرت كل النساء تشوّقاً لتراهـا
والآس قد اهدينها رمزًا الى فعل الفضيلة والتقى بصباهـا
«تلفُ» الامين لقد سعى حالًا الى الـ ـسنا فبشّر انّها وابـاهـا
حضرا الى قصر الامير بلهفةٍ كلٌّ وطار مسرّةً للقاهـا
زارتها اعيانُ البلاد وقد غدت تُهدَى وتُهدي كلَّ من اهداهـا
ثمّت اتاها ناسكان بسرعةٍ كلٌّ بذلٍ يستبيح رضاهـا
رجعا من القدس الشريف الى البلا د ومدة نسكاً به صرفاهـا
كانا كسيـأفين فيما قد مضى إبّان « غولو » رام سفك دماهـا
فترحّبت بهما وقد جازتهما خيرًا كما ربُّ العباد جزاهـا
قد عوفيت وتوردت وجناتها والسعد ايضاً والهنا وافـاهـا
وكذا غزالتها لذاك القصر قد وافت فسرّت كل من يلقاهـا

***

وقضى بذاك السجن غولو بعدما ... ايامهُ بالذل كان قضاها
ومضى الى دار الشقاء معذَّباً ... يا ويح تلك النفس ما اشقاها
أنعِم بقصّةِ جنفيافَ وحسنها ... فهاك نظماً يا اخي فحواها
رحم المهيمن كل ذات فضيلةٍ ... هي مثلها في برّها وتقاها

المذهب الدروييني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تابع)

٣ مذهب النشوء والتحول

لمذهب النشوء والتحوّل دَوْران اصليّان تطوَّرَ بهما في انتشاره : الدَّوْر الاوّل هو الذي شاع فيهِ مذهب دروين كما اوضحهُ في كتابهِ المعنون بأصل الانواع وهو اوّل ما صنَّفهُ ثمَّ اردفهُ بكتب اخرى عديدة سعى فيها بتوسيع نطاق مذهبهِ . اما الدور الثاني فهو دور الجوهر الفرد (le Monisme) الذي ذهب اليه الالماني هكل

١ المذهب الدروييني

كان دروين انكليزيّ الاصل مولدهُ سنة ١٨٠٨ ووفاتهُ سنة ١٨٨٢ وكان بروتستانيّ النحلة مؤمناً بالله وبالوحي قائلاً بتكوين الله عز وجلّ للخلائق من العدم في مواليدها الثلثة اي الجماد والنبات والحيوان كما رواهُ موسى في سفر التكوين في غضون كلامهِ عن خلق الله للنبات (تك ١ : ١١) ثمَّ للحيوان الاعجم (١ : ١٣) ثمَّ للانسان (١ : ٢٤) فدروين يسلّم بكل ذلك ضمناً إن لم يصرّح بهِ في كتابهِ اصل الانواع المطبوع سنة ١٨٥٩ بالانكليزية

ولكن كيف خلق الله هذه المواليد ؟ هل ابدع سبحانهُ وتعالى كلّ انواع النبات والحيوان كما هي حاضراً او كما اطّلع عليها علماء طبقات الارض بعد تلاشيها